الباب الأول

دور الفقهاء السياسى
في
الأندلس في القرن الخامس الهجرى

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الأول

دور الفقهاء السياسى في غرب الأندلس

(١) الدور السياسى للقاضى أبى القاسم محمد بن إسماعيل ابن عباد فى تأسيس دولة بنى عباد فى أشبيلية .

(٢) بنو عباد والمواقف السياسية لبعض الفقهاء من أمثال :

أ - الفقيه أبو حفص عمر بن الحسن الهوزنى .

ب - الفقيه أبو محمد على أحمد بن سعيد بن حزم .

obeikandl.com

obeikandl.com

١-الدور السياسى للقاضى أبى القاسم محمد بن إسماعيل بن عباد فى تأسيس دولة بنى عباد فى أشبيلية

يعد القرن الخامس الهجرى طوراً جديداً فى حياة إشبيلية خاصة وغرب الأندلس عامة ، حيث شهد هذا الجزء الهام من الأندلس حكماً مستقلاً عن قرطبة مركز الحكم على يد بنى عباد الذين يعدون من أشهر حكام الأندلس فى هذه الحقبة بل وأقواهم قاطبة .

ويرجع أصل هذه الأسرة إلى جدهم "عطاف" الداخل إلى الأندلس فى طالعة "بلج بن بشر القشيرى " ، وهو لخمى النسب قدم من حمص من الشام أو من مصر العريش بالتحديد(١) ، ونزل الأندلس فى إقليم طشانة القريبة من إشبيليه غرب الأندلس (٢) وقد أوردت بعض المصادر إنتسابهم الى " النعمان بن المنذر بن ماء السماء " وكانوا يفخرون بهذا النسب أشد الفخر(٣).

وقد تأسست هذه الأسرة على يد " أبو القاسم محمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن قريش بن عباد بن عمر بن أسلم بن عمر بن عطاف بن نعيم اللخمى " (٤) الذى ولاه " القاسم بن حمود " القضاء مكان أبيه " أبى الوليد إسماعيل بن عباد " الذى كان مقدماً فى عهد الدولة العامرية حيث عينه " المنصور بن أبى عامر" على قضاء إشبيلية ومنحه سلطات واسعة ، ثم استدعى للقضاء بقرطبة وعين مكانه " أبو عمر الباجى" ، ولكنه لم يسد مكانه فعاد إلى إشبيلية مرة أخرى ولبث فى القضاء وتولى . إلى جانبه . خطة

---

(١) العريش : من ديار مصر ، على سواحل البحر الأبيض ـ والغالب على أرضها الرمال وبها ثمار عديدة . الحميرى : الروض المعطار فى خبر القطار ، ت . إحسان عباس ، ص ٤١٠ .
طشانة : Tocina من مديرية إشبيليه حالياً ورد إسمها محرفاً طشتاته فى ابن عذارى: البيان المغرب ، جـ٣ ، ص ١٩٠.؛ ابن الآبار : الحلة السيراء ، جـ٢ ، ص ٣٥ .

(٢) ابن الأبار : الحلة السيراء ، جـ٢ ، ص ٣٤ ، ٣٥ ،
Dozy : Histora des Mususelmans D Espagne , Tom. III , p . 7 .

(٣) يقول ابن اللبانة : من بنى منذر ما السماء وهو إنتساب زاد فخره بنو عباد
نبتة لم تلد سواها المعالى والمعالى قليلة الأولاد

(٤) ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص ٤٢٢ .

الأمانة وقام بأمور بلده ، ويصف " ابن بسام " نقلاً عن " ابن حيان " هذا الرجل بأنه : "رجل الغرب قاطبة ، المتصل الرئاسة فى الجماعة والفتنة " (٥) .

ولما شعر القاضى " أبو الوليد إسماعيل بن عباد " بأنه حقق بغيته من توطيد قدمه فى الرياسة ، وأثقلته السنون وكف بصره أو كاد ، ندب ولده "أبا القاسم محمد" ليشغل خطة القضاء مكانه . وقد اختلف المؤرخون فى سنة وفاته ، والغالب أنه مات فى سنة٤١٤هـ (٦) .

وكان " أبو القاسم ذو الوزارتين محمد بن إسماعيل " ذكياً فطناً وسياسياً ماهراً وقد وصفه ابن بسام : " أنه أذكى من قاس وقلد وأدهى من أتهم وأنجد ، يأخذ وكأنه يدع ، ويطير فيحسب أنه وقع " (٧) . وقد توفرت لدى " أبو القاسم " كل عوامل السيادة حيث كان قاضياً كأبيه فقيهاً فحظى بالمكانة الدينية المرموقة التى كانت لهذه الفئة ، كما أنه ورث عن أبيه ثلث ممتلكات إشبيلية ضيعة وغلة (٨) ، إضافة إلى أصله العربى المرموق . الذى أشرنا إليه آنفاً . كما عرف بالدهاء والكياسة وحسن السياسة وهى أمور ساعدته على الإستقلال بإشبيلية ، فاستطاع استغلال الظروف السياسية لصالحه ، وسخرها لتحقيق غرضه .

وتفصيل ذلك أنه بعد انقضاء الدولة العامرية ، قامت خلافة الحموديين فى قرطبة على يد " على بن حمود " الذى كان قد ولاه الخليفة سليمان "المستعين" على مدينة سبته وولى أخاه " القاسم " الجزيرة الخضراء وأصيلا، وانتهز" على بن حمود " فرصة الاضطراب السياسى فى قرطبة وسعى لكى يكون له دور فى الحياة السياسية فى الأندلس، إذ أنه كانت تحدوه آمال عريضة فى إحياء مجد أسلافه الأدارسة الزائل ، فلم

(٥) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٢ ، جـ ١ ، ص ١٤ .؛ ابن الأبار : الحلة السيراء ، ت: حسين مؤنس ، جـ٢ ، ص٣٥-٣٦ .؛ محمد عبدالله عنان : دول الطوائف ، ص ٣٣ .

(٦)ابن عذارى: البيان المغرب، جـ ٣، ص ١٩٤.؛ أنظر النباهى: قضاة الأندلس، ص٩٤ يذكر أنه مات سنة ٤١٠هـ .

(٧) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، جـ ٢ ، ص ١٨ .

(٨) النباهى : نفس المصدر ، ص ٩٥ .

يقنع بحكم مجرد ولاية ، وإنما تطلع إلى ماهو أبعد من ذلك إلى الخلافة نفسها فانقض عليها ، واستولى عل الحكم بها لثمان بقين من المحرم سنة ٤٠٧هـ/ ٢ يوليو١٠١٦م(٩). وفى اليوم التالى لدخوله قرطبة ولسبع بقين من المحرم سنة ٤٠٧هـ /٣ يوليو سنة ١٠١٦م بويع "على بن حمود " بالخلافة عند باب السدة من قصر قرطبة ، وقد أجمع أهل قرطبة على مختلف طبقاتهم على مبايعته وتلقب بالناصر لدين الله (١٠) . وقلد أخاه " القاسم بن حمود " على إشبيليه

عمل "على بن حمود " فى بداية توليه الخلافة على تعويض أهل قرطبة عما لاقوه من عسف وجور على أيدى أواخر الخلفاء الأمويين ، كما أراد أن يوقف العداء المتبادل بين الأندلسيين والبربر وإقرار السلام بينهم ، فأصدر أوامره للبربر المتغلبين بأن يكفوا أيديهم عن أهل قرطبة ، وبادر بإقامة العدل وإنصاف المظلومين ، وقد استطاع " على بن حمود " بهذه الإجراءات وغيرها أن ينشر الأمن والطمأنينة فى نفوس الأندلسيين ولاسيما أهل قرطبة فأستتبت الأمور وهدأت الخواطر ، وعادت الأمور فى قرطبة تجرى فى مجراها الطبيعى وانتعشت الحياة الاقتصادية ، وانعكس ذلك على الحياة الإجتماعية .

غير أن " على بن حمود " سرعان ماتغير على أهل قرطبة عندما وصلته أخبار عن "عبدالرحمن بن محمد" من أحفاد الناصر ومبايعة " خيران العامرى " صاحب المرية له بالخلافة وتلقبه بالمرتضى ، وبلوغ هذه الأخبار أهل قرطبة وتغيرهم عليه، فعدل"على بن حمود" عن سياسته الأولى فى إيثارهم والتضحية بولاء البربر " وصب على أهل قرطبة ضروباً من التنكيل والمغارم ، وانتزع السلاح منهم ، وهدم دورهم ، وقبض أيدى الحكام عن إنصافهم ، وأغرم عامتهم ، وتوصل إلى أعيانهم بأقوام من شرارهم ، ففتحوا له أبواباً من البلايا أهلك بها الأمة ، وتقربوا إليها بالسعاية وقرن بجميع الناس الأشرطة ، ووكل بهم

(٩) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، جـ ١ ، ص ٩٧ .
(١٠) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، جـ ٢ ، ص ١٨ .؛ ابن عذارى : البيان ، جـ٣ ، ص١٢٠-١٢٢ .

الضغاط " (١١) . وهكذا أساء " على بن حمود " معاملة الناس وساءت سيرته ، ومقته أهل قرطبة حتى قتل فى حمام قصر الخلافة بقرطبة على يد بعض الصقالبة بعد توليه الخلافة بإحد وعشرين شهراً وذلك سنة ٤٠٨هـ ١٠١٨م (١٢) .

اجتمع البربر الزناتيون عقب إغتيال " على بن حمود " للتشاور حول اختيار من يخلفه ، فأتفقوا على تولية أخيه " القاسم بن حمود " صاحب إشبيلية ، فأرسل زعماء زناته إليه يبلغونه بخبر وفاة أخيه وطلبوا منه الحضور إلى قرطبة ليخلف أخاه ، فوافى قرطبة حيث بويع بالخلافة فى ٨ ذى القعدة سنة ٤٠٨ هـ ٢٨ مارس سنة ١٠١٨م (١٣) وتلقب بالمأمون (١٤) .

وكان " القاسم بن حمود " قد ترك ولديه محمد والحسن فى إشبيلية ، وولى إبنه "محمد بن القاسم " حكم إشبيلية ، واعتمد " محمد بن القاسم " فى حكمه على وزيره "محمد بن زيرى بن دوناس اليفرنى" أحد كبار مدينة صنهاجة البربرية (١٥) ، كما اعتمد أيضاً على القاضى " أبو القاسم محمد بن إسماعيل بن عباد " الذى كان قد عينه والده "القاسم بن حمود " على قضاء إشبيلية بعد وفاة والده أبو الوليد ، ورد ميراثه عن والده (١٦) .

وإن كان ابن بسام يتهم القاضى " أبو القاسم محمد بن إسماعيل بن عباد " بالخيانة لأنه لم يحفظ جميل من ولاه القضاء رغم تفضيل أحد المرشحين عليه واستنجاده بـ "القاسم بن حمود " ليعينه على القضاء ، فكان له ما أراد ، فإن أحد المؤرخين المحدثين قد

---

(١١) ابن بسام : الذخيرة، ق ١ ، جـ ٢ ، ص ٩٩ ، ١٠٠ .؛ ابن عذارى : البيان ، جـ ٣ ، ص١٢٣ .؛ ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، القسم الأندلسى ، ص ١٥١ .؛ المقرى : نفح الطيب ، م ١ ، ص ٤٨٣ .

(١٢) الحميدى : الجذوة ، ق ١ ، ص ٥٣ .؛ وأنظر أيضاً رجب عبد الحليم : دولة بنى حمود فى مالقة بالأندلس ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب – جامعة القاهرة ، ص ٥١ .

(١٣) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، جـ ١ ، ص ٤٨١ .

(١٤) ابن حزم : نقط العروس فى تاريخ الخلفاء ، ت: شوقى ضيف ، مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة ـ مجلد ١٣ ، سنة ١٩٥٣م ، ص ٤٨ .

(١٥) ابن خلدون : العبر ، جـ ٤ ، ص ٢٠١ .

(١٦) ابن بسام : الذخيرة ، ق٢ ، جـ ١ ، ص ١٥ .؛ وأنظر أيضاً : على أدهم : المعتمد بن عباد ، المركز العربى للثقافة والعلوم ، بيروت ، ب. ت. ، ص ٤٥ .

فسر الموقف بشكل آخر حيث كان " أبو القاسم محمد بن إسماعيل بن عباد " يمارس القضاء فعلياً بسبب تقدم والده فى السن ، ويضيف أن منزلة " أبو القاسم محمد بن إسماعيل بن عباد " ونفوذه الواسع ، ومنزلة والده ، ومكانة عائلته فى إشبيلية ، كل ذلك أهله لتولى القضاء ، فضلاً عن رغبة " القاسم بن حمود " فى تهدئة الجو فى إشبيلية ليتفرغ لقرطبة (١٧)

إنتهز القاضى " أبو القاسم محمد بن إسماعيل بن عباد " فرصة غياب " القاسم بن حمود " عن مدينة إشبيلية وانشغاله بأمر قرطبة فبذل الأموال وأحسن الحديث وسيطر على العقول مع ما عرف به من الدهاء ، وبعد النظر ، فجمع حوله عدداً من الأعوان أمثال " أبو بكر الزبيدى " ، و " محمد بن يريم الألهانى " و"أبو الأصبغ عيسى بن حجاج الحضرمى " و " أبو محمد بن على الهوزنى " وغيرهم (١٨) ، كما أغرى " محمد بن زيرى بن دوناس اليفرني" بالملك واتفق معه على أن تكون له مدينة غرناطة إذا تمكن من فرض سيطرته على مدينة إشبيلية كما ورد عند ابن خلدون (١٩) ، أو كما ذكر ابن بسام أن أبا القاسم محمد بن إسماعيل " قد أطمعه فى تملك إشبيلية بعد رحيل "محمد القاسم بن حمود" عنها(٢٠) .

وبذلك تحرك أتباع ابن عباد من اليمنية والحضارمة وحاصر " محمد بن القاسم بن حمود " فى قصر الإمارة، وحاربه حتى أجبره على الخروج من إشبيلية ومعه أخيه حسن ثم سارع القاضى " محمد بن إسماعيل بن عباد " بطرد " محمد بن زيرى " ونكث عهده معه

(١٧) صلاح خالص : إشبيلية فى القرن الخامس الهجرى ـ ب. ت. ، ص ١١٩ .
(١٨) عبد الواحد المراكشى : المعجب ، ص ١٤٩ .
(١٩) ابن خلدون : المصدر السابق ، جـ ٤ ، ص ٢٠١ .
(٢٠) ابن بسام : المصدر السابق ، ق ٢ ، جـ ١ ، ص ٤٨٥ .

كما طرد الجيش البربرى كله [٢١] ، وبالإضافة إلى ذلك فقد أحسن السيرة وبذل الأموال واسترضى العامة،فأصبحت بذلك إشبيلية فى قبضته يتحكم فيها كما يشاء.

أما الخليفة " القاسم بن حمود " فقد أراد أن يتخلص من سطوة البربر وسيطرتهم على دولته فأنتهج سياسة جديدة تقوم على إقصاء البربر عن مناصبهم الرفيعة فى الدولة وإحلال بدلاء عنهم فاسكثر من جلب السودان وقلدهم المراكز القيادية فى دولته وأتخذهم بطانة له ، لكن هذه السياسة كانت وبالاً عليه فقد ساء البربر تصرفه فزادوا من تسلطهم عليه واستخفافهم به ، وعدم الإكتراث بأوامره ، فاستغل الأمير " يحيى بن على بن حمود" صاحب سبته هذه الظروف السيئة التى يمر بها عمه " القاسم " ، وأخذ يتحين الفرصة للخروج على عمه الذى يعتبره مغتصباً لحقه فى الخلافة لأنه كان ولياً لعهد أبيه ويذكر ابن الخطيب :" ولما ضعف أمر القاسم بن حمود ، شرع أبناء أخيه يحيى الكائن بسبته ، وإدريس الكائن بمالقة فى مطالبته " [٢٢] .

فكاتب " يحيى بن على بن حمود " سراً من سبتة رؤساء البربر بقرطبة يستجديهم ويؤلبهم على عمه ، ويطمأنهم على مناصبهم ويطلب مساعدتهم . وكان البربر قد سئموا ضعف " القاسم بن حمود " وتفضيله السودان عليهم ، فأجابوه إلى ذلك وأرسلوا له مالاً يستعين به .

---

(٢١) ذكر أحد المؤرخين المحدثين أن محمد بن زيرى قتل على يد أبى القاسم بن عباد ، وذكر آخر أنه سجن ، وقد اشترط عليه ابن عباد أن يغادر مدينه إشبيلية شريطة إطلاق صراحه ، علماً بأن المصادر التى بين أيدينا لم تشر إلى شئ من هذا ، أنظر : شريفة محمد عمرو دحمانى : العلاقات السياسية بين الطائفتين الأندلسية والبربرية فى جنوب الأندلس فى عصر ملوك الطوائف فى القرن الخامس الهجرى ، رسالة ماجستير غير منشورة ـ كلية الآداب– جامعة الإسكندرية ، سنة ١٩٩٢م ، ص ١٢٣ .؛ أمحمد بن عبود : التاريخ السياسى والاجتماعى لإشبيلية فى عهد دول الطوائف ، ص ٥٢ .

(٢٢) ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، القسم الأندلسى ، ص ١٥٣ .

obeikandl.com

حشد " يحيى بن على بن حمود " جيشاً كثيفاً خرج به من سبته وعبر الزقاق إلى الأندلس فى بداية سنة ٤١٠هـ ١٠١٩م ونزل بمالقة(٢٣) قاعدة عمل أخيه إدريس الذى اتفق معه على أن يتولى سبته بدلاً منه للإستيلاء على قرطبة (٢٤) . ولما استوثق " يحيى بن على بن حمود " من كثافة حشوده زحف بهم نحو قرطبة ، فلم يجد " القاسم بن حمود " . الذى أدرك فساد سياسته تجاه البربر. سوى الفرار سراً إلى إشبيلية فى صحبة عدد قليل من حاشيته ليلة السبت ٢٢ربيع الآخر ٢١٤هـ / ٥ أغسطس ١٠٢١م (٢٥) ، فاستقبله أهلها وتمسكوا بطاعته ، وليس معنى ذلك تعلقهم به ، بل لشعورهم بضعف الحكومة المركزية فى قرطبة ، وقدرتهم على الانفصال عنها وقتما شاءوا ، ورغبتهم فى التخلص من الحموديين أنفسهم بعد ذلك (٢٦).واستولى " يحيى بن على بن حمود " على مقاليد الأمور بقرطبة(٢٧) ، وإجتمع على بيعته الأندلسيون والبربر فتلقب بالمعتلى بالله فى غرة جمادى الأولى ٤١٢هـ / ١٣ أغسطس ١٠٢١م (٢٨) .

ولما لم يكن القاضى " أبو القاسم محمد بن إسماعيل بن عباد " قد استكمل جوانب خطته فى الاستيلاء على إشبيلية فقد اضطر لمبايعة " القاسم بن حمود " بل ويحكم له عقد الولاية (٢٩) ، فيصطنعه " القاسم بن حمود " ويجعله من ثقاته ويخوله

---

(٢٣) مالقة Malaca : مدينة من أعمال ريه على شاطئ البحر بين الجزيرة الخضراء والمريه ، قال عنها الإدريسى أنها ذات أسواق عامرة ومتاجرها دائرة ونعمها كثيرة ، وقال عنها ابن سعيد أنها اشتهرت بالتين واللوز الذى كان يعمل منها إلى الأقطار . أنظر : الإدريسى : نزهة المشتاق ، جـ٢ ، ص ٥٦٥ .؛ ابن سعيد : الجغرافيا – من الإنترنت ، ص ٥٦٥ .؛ الحميرى : الروض المعطار ، ص ٥١٧ .؛ إسماعيل العربى : الأدارسة ملوك فاس وتلمسان وقرطبة ، دار الغرب الإسلامى – بيروت ، سنة ١٩٨٣م ، ص ٢٣١ .

(٢٤) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، جـ ١ ، ٤٨١ .؛ ابن عذارى : البيان ، جـ ٣ ، ص ١٣١ .؛ ابن الخطيب :أعمال الأعلام ، ص ١٥٣.؛ المقرى : نفح الطيب،جـ ١ ، ٤٣٢ ـ ٤٨٦ .؛ محمدعبدالله عنان : دول الطوائف ، ص ٣٣ .

(٢٥) ابن عذارى : البيان ، جـ ٣ ، ص ١٣١ .

(٢٦) صلاح خالص : إشبيلية فى القرن الخامس الهجرى ، ص ١١٣ .

(٢٧) ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٣ ، ص ١٣٣ ؛ ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ١٣٥ ؛ عبدالواحد المراكشى : المعجب ، ص ٩٩ .

(٢٨) ابن عذارى : البيان ، جـ ٣ ، ص ١٣١ ، ١٣٢ .؛ عبد الواحد المراكشى : المعجب ،ص ٩٩ .؛ ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص١٥٣، ١٥٤ .

(٢٩) ابن خلدون : العبر ، جـ ٤ ، ص ٣٧٧ .

جميع سلطات والده المتوفى وذلك " لمحله من الجلالة والأصالة فى النظر ووفور المالية"(٣٠) . ولم يكن فى تولى " أبى القاسم محمد بن إسماعيل "سلطات أبيه امتيازاً تفضل به الخليفة " القاسم بن حمود"، فالقاضى عياض يذكر أن محمداً قد مارس فعلاً هذه السلطات عندما تقدمت بأبيه السن وكف بصره فتنازل عن القضاء مكتفياً هو بتسيير أمور المدينة (٣١) .

ظل " القاسم بن حمود " يرقب تطورات الأحداث فى قرطبة ، واضطراب ابن أخيه ، وكان البربر قد ضاقوا من تعالى وكبر " يحيى بن على حمود " ، فأحس بخطورة موقفه ، ويبدو أن الخليفة " يحيى بن على بن حمود " أراد أن يجنب دولته الصراع مع عمه القاسم لاسيما بعد أن استقرت أموره فى إشبيلية فتعاقد معه على السلم والمهادنة ويعلق ابن حزم على تصالح الخليفتين فيقول : " وهذا أمر لم يسمع فى الدنيا بأشنع منه ولابأدل على إدبار الأمور " (٣٢) . وعندئذ عزم " يحيى بن على بن حمود " على الفرار من قرطبة واللحاق بمالقه قبل أن تخرج من سلطته ، فخرج من قرطبة مع بعض أفراد حاشيته وإبنه إدريس ليلة ١٢ ذى القعدة ٤١٣هـ٦ فبراير ١٠٢٣م، ورجع إلى مالقة ، وحينئذ أبلغ عمه " القاسم بن حمود " بإشبيلية فركب وجد فى السير ليلاً ونهاراً إلى أن وصل قرطبة ، فدخلها فى ١٨ ذى القعدة ٤١٣هـ ١٢ فبراير ١٠٢٣م، فجددت له البيعة بالخلافة وتسمى بأمير المؤمنين (٣٣) ، الأمر الذى هيأ الفرصة لابن عباد لاستكمال تدابيره .

لم تهدأ الأحوال بقرطبة بعودة " القاسم بن حمود " لتدبير أمرها بل ازدادت حدة الخلافات بين " القاسم بن حمود " وأهل قرطبة بسبب محاباته للبربر على حسابهم مما أثارهم عليه فحاربوه وهزموه فى معركة حاسمة حدثت فى مرج قرطبة فى ١٢شعبان

(٣٠) ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ١٧٨ .
(٣١) عياض : ترتيب المدارك ، جـ ٤ ، ص ٧٤٩ .
(٣٢) ابن حزم : نقط العروس ، ص ٨٠ .؛ ابن عذارى : البيان ، جـ ٣ ، ص١٣٢-١٣٣ .
(٣٣) ابن عذارى : البيان ، جـ ٣ ، ص ١٩٦ .؛ وأنظر أيضاً :
Scott : Morish Empire , Vol . II .London P. 116 .

سنة٤١٤هـ٣٠ أكتوبر ١٠٢٣م (٣٤) ، ففر مرة أخرى إلى إشبيلية فى وقت كان فيه القاضى " أبو القاسم محمد بن إسماعيل بن عباد " قد دبر أمره واستعد للخلاص من بنى حمود وساعد على ذلك طلب " القاسم بن حمود " بأن تخلى له الديار لمن كان معه من البرابرة فراراً من قرطبة (٣٥) ، فأغتاظ العامة فى إشبيلية من هذا الطلب ، وساهم القاضى "أبو القاسم محمد بن إسماعيل بن عباد " فى زيادة إشعالهم ، وعدد لهم مساوئ " القاسم بن حمود " (٣٦) ، وانتهز القاضى " أبو القاسم محمد بن إسماعيل بن عباد " الفرصة واتفق مع شيوخ البلد على إغلاقها فى وجه " القاسم بن حمود " وأخرجوا ولدين له ومن معه بعد أن حاصروهم فى دار الإمارة ، ورضى القاسم بذلك إنقاذاً لولديه وذهب ومن معه إلى "قرمونة" (٣٧) . وكانت " قرمونة " تحت حكم " محمد بن عبدالله البرزالى "الذي استقل بها بعيداً عن الحكم فى قرطبة منذ عهد الفتنة البربرية ، وقد ساعده " أبو القاسم بن عباد" فى خلع طاعة الحموديين والاستبداد بقرمونة (٣٨) ، وكان هذا العمل - بعد ذلك - هو ميثاق الحلف بين " بن عباد " و " البرزالى " واضطر القاسم الذهاب إلى " شريش " (٣٩) .

كما طرد القاضى " أبو القاسم محمد بن إسماعيل بن عباد " محمد بن زيرى بن دوناس اليفرنى للتخلص من البربر ، وبذلك صفا له الجو وخلصت له إشبيلية (٤٠) .

---

(٣٤) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، جـ ١ ، ص ٤٨٤ .
(٣٥) ابن عذارى : البيان ، جـ ٣ ، ص ١٩٦ .
(٣٦) أمحمد بن عبود : التاريخ السياسى والإجتماعى لإشبيلية ، ص ٤٨ .
(٣٧) قرمونة Carmona شرق إشبيلية وغرب قرطبة والمسافة بينها وبين قرطبة ٦٥ميلاً ، وهى أتقن المعاقل وأحماها وتتبعها عدة مدن منها برشانة وطنبورة وعلى رأسها جبل حصيرة ، ولها سور يشبه سور إشبيلية . أنظر: الأصطخرى : المسالك والممالك ، ت : محمد جابر عبد العال ، القاهرة ،ط١ سنة ١٩٦٩م ، ص ٣٨ .؛ ابن غالب : قطعة من كتاب فرحة الأنفس في تاريخ الأندلس ، ت: لطفي عبد البديع ،مجلة معهد المخطوطات ، م١،ج٢،سنة١٩٥٥م،ص ٢٩٢ .؛ الحموى: معجم البلدان، ص ٥٨٢ .؛ ابن الشباط : وصف الأندلس ، ص ١١٠ .
(٣٨) ابن خلدون : العبر ، جـ ٤ ، ص ٢١٠ ؛ إسماعيل العربى : الأدارسة ملوك فاس ، ص ٢٦١.
(٣٩) شريش Jerez من كور شذونة بالأندلس ، بينها وبين قلشانة ٢٥ ميلاً وهى على مقربة من البحر ، يجود زرعها،وهى حصينة حسنة الجهات بها أشجار الكروم والزيتون. أنظر: الحميرى: الروض المعطار ، ص ٣٤٠ .
(٤٠) ابن بسام : المصدر السابق ، ق ١ ، جـ ١ ، ص ١٥ .؛ ابن خلدون : المصدر السابق .

واختار أهالى إشبيلية القاضى " أبو القاسم بن عباد" ليكون حاكماً عليهم ، ولكنه اشترط أن يكون له أعوان يتم بينهم الحكم مشاورة ، وكما ذكر المراكشى :"فعرضوا عليه مارأوه من ذلك ، فهيب الاستبداد ، وخاف عاقبة الإنفراد أولا ، وأبى ذلك إلا على أن يختاروا له من أنفسهم رجالاً سماهم لكى يكونوا له أعواناً ووزراء وشركاء لايقطع أمراً دونهم ولايحدث حدثاً إلا بمشورتهم" (٤١) ، وعلى ذلك إختار القاضى " أبو القاسم محمد " كل من الفقيه " أبو بكر محمد بن حسن الزبيدى " (٤٢) و "محمد بن يريم الألهانى " ليصبحا شركاءه فى الحكم . ولكن هذا النظام لم يستمر كثيراً فسرعان ما تخلص منه القاضى " أبو القاسم بن عباد " لينفرد بحكم إشبيلية وبخاصة بعد ما حدث من أمر " يحيى بن على بن حمود " ، ففى سنة ٤١٤هـ / ١٠٢٣م بعدما استوثق الأمر لـ " يحيى بن على بن حمود " عاد لمهاجمة إشبيلية لتصبح فى حوزته ، فاضطر القاضى " أبوالقاسم بن عباد " لعقد إتفاق معه تعهد بموجبه أن تكون السيادة الإسمية فى إشبيلية لبنى حمود وتكون الخطبة والدعوة على المنابر بإسمهم ، على ألا يدخل " يحيى بن على بن حمود " إشبيلية ولا يتدخل فى شئوونها الداخلية ، وقد طلب " يحيى بن على بن حمود " أن يكون لديه رهائن من خيرة شباب إشبيلية ومن أبناء كبار الأعيان بها ، فقدم القاضى "أبو القاسم" ابنه " عباد " ليكون رهينة لدى " يحيى بن على بن حمود " بعد أن خشى كبار الأعيان على أبنائهم (٤٣) ، وبهذا استطاع القاضى " أبو القاسم " أن يتخلص من هذا

(٤١) عبد الواحد المراكشى : المصدر السابق ، ص ١٤٩ .

(٤٢) أبوبكر الزبيدى : هو محمد بن حسن الزبيدى النحوى المشهور صاحب كتاب "مختصر العين" وكتاب " الرد على ابن مسرة " ، من أهل الأدب وهو معلم الخليفة هشام ، وقد أشارت المصادر إلى أنه هو الذى شارك أبى القاسم بن عباد فى الحكم رغم أنه توفى سنة ٣٧٩هـ وقيل ٣٩٩هـ أى قبل ظهور أبى القاسم بن عباد على مسرح السياسة ويبدو أن المقصود ابنه. السيوطى : بغية الوعاه ، جـ ١ ، ص٨٤،٨٥ (أنظر ترجمته فى الفصل الأول) . أما ابنه " محمد بن حسن الزبيدى " وكنيته " أبو الوليد " ، وقد عمل فى القضاء ، وهو من أهل الأدب والرياسة سمع من أبيه كتاب " مختصر العين " شارك فى حكم إشبيلية ثم أخرج عنها ورحل إلى القيروان ثم استوطن المرية وولى القضاء بها . أنظر : الحميدى : الجذوة ، ق ١ ،ص ٧٤ .؛ الضبى : بغية الملتمس ، ص ٦٩

(٤٣) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، جـ ١ ، ص ١٩ .؛ ابن عذارى : البيان ، جـ ٣ ، ص ١٩٦ .

المأزق بذكاء حتى تقوى شوكته ويرتفع شأنه ، وينتقم من " يحيى بن على بن حمود" ويقضى عليه نهائياً سنة ٤٢٧هـ / ١٠٣٥م .

ملك القاضى " أبو القاسم" قلوب العامة ، وزادت سيطرته الداخلية على إشبيلية بوضع ولده رهينة لدى "يحيى بن على بن حمود " ، فأصبح المضحى من أجل إشبيلية وحاميها من البربر وزعيمها الشجاع المتفانى من أجل استقلالها ، كما أنه لم يخسر شيئاً لأن سيادة " يحيى بن على " على إشبيلية كانت سيادة إسمية فقط فى حين كانت السيادة الحقيقية قد ملكها فى يده بعدما أرسل " الزبيدى " إلى المنفى ، ثم تخلص من "أبى الأصبغ عيسى بن حجاج الحضرمى " و" ابن الهوزنى " . ثم أنشأ جيشاً جديداً أكثر فيه من الفرسان ، وجند المرتزقة ، واشترى العبيد ، واقتنى السلاح حتى أصبحت عدة هذه القوة خمسمائة فارس ليحقق به مخططاته فى الحفاظ على استقلال إشبيلية وأطماعه فى التوسع فى الأندلس (٤٤) .

واستعان " أبو القاسم بن عباد " بوزير يدعى " حبيب " لاينتمى إلى أى من البيوتات العربية فى إشبيلية ، وكما قال عنه ابن بسام :" رجل من أهل بادية إشبيلية لم تكن له نباهة مذكورة ولاسابقة مشهورة ، أوسع أهل زمانة شراً ، وأوسعهم خديعة ومكرا"(٤٥) . ويظهر أن " حبيب " ذلك الوزير الجديد قد أمتلك ماأراده " أبو القاسم بن عباد " من الذكاء الجم والدهاء الموفور، وأتى من البادية ليكون بين يديه ويأمن شره ويخلص له لقاء ما فعل به سيده من رفع شأنه ووضعه فى هذا المنصب الهام (٤٦) فأضاف " أبو القاسم " بذلك دليلاً من أدلة ذكائه ، كما أنه استعان بإبنه الأكبر إسماعيل الذى

(44) Dozy : Histoire des Musulmans D`Espagne , Tom III P. 8 .

(٤٥) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، جـ ١ ، ص ١٩ .

(٤٦) على أدهم : المعتمد بن عباد ، ص ٤٦ ، ٤٧ .

لقب " أبو الوليد " وعينه قائد جيشه ، ولكنه سيموت فيما بعد إثر محاولته ضم مالقة إلى حوزة أبيه فيهزم ويقتل وتحمل رأسه إلى " إدريس بن على بن حمود " (٤٧).

ويبدو أن قضاء " أبو القاسم بن عباد "على رؤوس البيوتات العربية مسألة كانت مقصودة أراد بها التخلص من أى منافس له فى الحكم أو أية معارضة قد تنشب أمامه فيما بعد ، وحتى ينفرد بحكم إشبيلية ويستقل بها دون أى شريك ، فبدأ بالحموديين ثم البربر وانتهى بخاصة إشبيلية ، ولكنه لم يتخلص من الحموديين بعد فقد ظلوا شوكة فى ظهره يسعى للتخلص منها ، خاصة وأنه كان يدين لهم بالولاء الإسمى ، وقد قبل هذا الحل مؤقتاً حتى تلين له الأمور.

ولم يبدأ بالمعارك العسكرية معهم فكان أول صدام عسكرى هى تلك المعركة التى حدثت فى باجة (٤٨) ، وكانت بين جيش القاضى " أبو القاسم بن عباد " وجيش " أبن الأفطس " (٤٩) صاحب بطليوس سنة ٤٢١هـ١٠٣٠م (٥٠) ، وكان سبب هذه المعركة أن باجة تعد المدخل الشمالى لإشبيلية ، وقد أراد " أبو القاسم محمد بن إسماعيل بن عباد " الإستيلاء عليها وضمها إلى أملاكه بعد الفتن التى حدثت بها ، ولكن " محمد بن مسلمة ابن الأفطس " كان قد سبقه إليها إذ أرسل قوة من أجناده بقيادة ابنه محمد للاستيلاء

---

(٤٧) عبد الواحد المراكشى : المعجب ، ص ١١٣ ، ١١٤ .

(٤٨) باجة Baja تقع غرب قرطبة وشرق أشبونة ، ولها مدن ومعاقل وأقاليم ، تعد من أقدم مدن الأندلس ، وهى من مدن البرتغال وهى أرض زراعية . أنظر: ابن غالب: المصدر السابق ،ص ٢٩٠ .؛ ابن الشباط : المصدر السابق ص ١٠٨ ؛ القلقشندى : المصدر السابق ، ص ٢١٥. ؛ الحميرى : روض المعطار فى خبر الأقطار ، ص ٧٥ .

(٤٩) محمد بن مسلمة بن الأفطس (أبو عبدالله) وقد لقب بالمنصور وهو مؤسس دولة بنو الأفطس فى بطليوس بعد وفاة سابور ، وقد دخل فى صراع عنيف إستمر سنوات مع بنى عباد فى إشبيلية بدأ منذ سنة ٤٢٠هـ بسبب مدينة باجة ، واستمر فى عهد أبنائه بعد ذلك . للتفاصيل أنظر : سحر عبدالعزيز سالم : تاريخ مدينة بطليوس الإسلامية وغرب الأندلس فى العصر الإسلامى ، مؤسسة شباب الجامعة ـ الإسكندرية ـ طـ سنة ١٩٨٩م ، ص ٣٦٩ ومابعدها

(٥٠) بطليوس باللاتينية Badajoz مدينة كبيرة بالأندلس من أعمال مارده ، تقع على نهر وادي أنه غربى قرطبة ، تقع فى غرب الأندلس فى الإقليم الرابع ، ولها ربض كبير وسور منيع ، ويذكر أن الذى بناها الأمير عبد الرحمن بن مروان الجليقى بإذن من الأمير محمد . أنظر : البكرى : المسالك والممالك، ت . عبد الرحمن الحجى ، دار الإرشاد ، بيروت ، ب. ت. ، ص ١٣١ .؛ الإدريسى : نزهة المشتاق ، ص ٥٤٥ ؛ الحموى : معجم البلدان ، جـ١ ، ص ٥٣٠ ؛ القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ٥ ، ص ٢١٦ ؛ سحر عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة بطليوس.

عليها ونجح فى تنفيذ مهمته ، فلما علم ابن عباد بذلك لم يسكت وإن كان قد تظاهر بالسكوت وقبول الأمر الواقع ، ولكنه أخذ يخطط للإستيلاء عليها ، فاستعان بحليفه السابق " محمد بن عبدالله البرزالى " صاحب قرمونة الذى كانت تربطه به مصالح مشتركة، فقد كانت قرمونة الحصن الأمامى لإشبيلية من جهة الشرق ، كما أن البرزلى صاحب قرمونة كان يخشى على بلده من بنى حمود فى قرطبة ، ولهذا لم يتردد فى تلبية أى طلب لابن عباد(٥١) .

وحدث أن اختلف أهل مدينة باجة فيما بينهم على الرياسة ، وقامت فيها فتنة تعرف بفتنة " البرابرة " ، فاستغل " ابن عباد " الأوضاع المرتبكة فى باجة وسير ولده إسماعيل على رأس جيش للإستيلاء على باجة ، واشترك " البرزالى " فى هذه الحملة بقواته(٥٢) .

وكانت باجة آنذاك ماتزال تابعة لـ " ابن الأفطس"، وتم حصارها ، واجتاحت خيالة قوات " ابن عباد " وحليفه كل منطقة يابرة والمناطق الساحلية (٥٣)، ونهبت ودمرت كل ماكانت تقابله فى الطريق ، ووصلت قوات " أبو محمد عبدالله بن محمد بن مسلمة بن الأفطس " للدفاع عن باجة ، وكان على رأسها إبنه " محمد " ويساعده " ابن طيفور" صاحب مرتلة قاعدة شلب (٥٤) ، وكان ابن طيفور قد أقبل لمساعدة ابن الأفطس

(٥١) سحر السيد عبدالعزيز سالم : تاريخ مدينة بطليوس ، ص ٣٧٢ .
(٥٢) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٢ ، جـ ١ ، ص ٢٠ .
(٥٣) يابرة Evora: مدينة من كورة باجة بالأندلس وتنتهى أحواز باجه فيما حواليها مائة ميل ومنها الشاعر ابن عبدون اليابرى .. الحموى : معجم البلدان ، جـ٤ ، ص ٣٣٢١ .؛ الحميرى : الروض المعطار ، ص ٦١٥ .
(٥٤) مرتلة : أو مارتيلة بالأسبانية Mertola ، مدينة تقع شرق مدينة باجة ، والمسافة بينهما أربعين ميلاً ، وهى على نهر آنة بالقرب من شاطئ البحر ، أنظر : الحميرى : الروض المعطار ، ص٥٦٩ .
شلب silves قاعدة كورة لشبونة بغرب الأندلس قرب باجه تقع على ضفة نهر آنة وتتصل أحوازها بأحواز طليطلة يفصل بينهم مدينة الفرج ولها العديد من المدن التابعة لها وتشتهر بطيب أراضيها وخصوبة تربتها وكثرة الفواكه والخيرات بها . مؤلف مجهول : ذكر بلاد الأندلس ،ت:ليفى مولتيا ،مدريد،سنة١٩٨٣م، ص ٥٣ ، ٥٤ ؛ الحميرى: الروض المعطار ، ص ٣٤٢ ؛ القزوينى : آثار البلاد وأخبارالعباد، ص ٥٤١ ؛ الإدريسى : نزهة المشتاق ، جـ٢ ، ص ٥٤٣ .

وذلك عندما تبين له مدى الضرر الذى كان سيترتب على سيطرة "ابن عباد " على باجة بالنسبة لدولته الصغيرة (٥٥) .

ودارت معركة بين الجانبين إنتهت بتغلب " ابن عباد " وحليفه " البرزالى " على قوات " ابن الأفطس "و" ابن طيفور" ، ووقع عدد كبير من قواتهما فى الأسر لدى ابن عباد الذى أرسلهم إلى إشبيلية ، وكان من جملة الأسرى أخ لابن طيفور صلبه "أبو القاسم بن عباد " بإشبيلية .

أما " محمد بن مسلمة بن الأفطس " ، الذى لقب بالمظفر بعد ذلك ، والذى إعتقله البرزالى فى قرمونة ومكث فيها حتى أطلق سراحه فى ربيع الأول سنة ٤٢١هـ ١٠٣٠م بعد عام من الإعتقال ، ذكر أنه لما آن وقت خروجه من السجن عرض عليه " البرزالى " أن يذهب إلى " أبو القاسم بن عباد " ليشكره على إطلاق سراحه ، ولكنه رفض قائلاً :"مقامى فى أسرك أشرف عندى من تحمل منته ، فإما إنفردت باليد عندى وإما تركتنى على حالى"(٥٦) ، وقد أعجب قوله هذا " محمد بن عبدالله البرزالى " وأمر بفك أسره وأحسن تشييعه إلى " بطليوس " . وقد اتضح جلياً أن الحلف الذى كان قائماً بين " أبو القاسم بن عباد " و" محمد بن عبدالله البرزالى " كان حلفاً قائماً على المصلحة الشخصية فقط حيث كان كل منهما يخشى بأس " يحيى بن على بن حمود " فى وقت كان فيه كليهما حريصاً على إستقلاله ، فالمصلحة واحدة والهدف واحد ولكن كل منهما كان يضمر حقداً للآخر أرجعه بعض المؤرخين المحدثين إلى الاختلاف العنصرى (٥٧) . فكان "محمد بن عبدالله البرزالى " يميل إلى " محمد بن مسلمة الأفطس " حيث كان كل منهما يرجع إلى أصل بربرى كما أنهما كرها " أبا القاسم بن عباد " لكونه كان عربى الأصل (٥٨) . أما عن

(٥٥) سحر سالم : المرجع السابق ، ص ٣٧٣ .
(٥٦) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، جـ ١ ، ص ٢٢ .
(٥٧) شريفة دحمانى : العلاقات السياسية بين الطائفتين الأندلسية والبربرية فى جنوب الأندلس فى عصر الطوائف ، ص ١٦٠ ، ١٦١ .
(٥٨) ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٣ ، ص ٢٠٢ .

أسباب تحريض " محمد بن عبد الله البرزالى " لـ " أبى القاسم بن عباد " على محاربة " محمد بن مسلمة بن الأفطس " (٥٩) فلأن المسألة لا ترجع إلى التنافس العنصرى فى المقام الأول وإنما كانت تحكمها المصالح السياسية التى كانت تغلب على غيرها من العوامل ، ولعل مما يدعم هذا الرأى أن " أبا القاسم بن عباد " قد عاون " محمد بن عبد الله البرزالى " فى التصدى لـ " القاسم بن حمود " وأجبره على الرحيل عن قرمونة ولم يسمح له بدخولها ، فأراد البرزالى أن يحتمى بابن عباد من يحيى بن على بن حمود ، مع علمه بأطماع ابن عباد فى غربى الأندلس ، فعاونه فى الاستيلاء على باجة ، وأراد أن يشغله فى الاستيلاء على بطليوس حتى لايفكر فى ضم قرمونة وبخاصة أنه كان من أكبر محرضى ابن عباد حتى وصفه " ابن حيان " بقطب رحى الفتنة (٦٠) .

أما بالنسبة لباجة فقد ضمها " أبو القاسم بن عباد " إلى إشبيلية سنة ٤٢١هـ / ١٠٣٠م (٦١) ، وإن كان ابن عذارى قد ذكر أن ذلك حدث سنة ٤٣١هـ / ١٠٣٩م (٦٢) ونرجح رواية ابن بسام حيث أن المعتمد كان قد ولد بباجة قبل عام ٤٣١هـ (٦٣) ، وليس من المعقول أن يكون " أبا القاسم بن عباد " قد ترك باجة تحت حكم الحاجب" عيسى بن محمد "صاحب مدينة شلب كل هذه الفترة . قرابة عشر سنوات . وهو الذى كان يسيطر على كل الأمور بنفسه ، كما أنه كان يعد باجة نقطة إرتكاز له فى تحقيق حلمه التوسعى لضم غرب الأندلس تحت حكمه .

أما " ابن الأفطس" فلم ينس ما حدث له فى باجة وثأر لنفسه من" ابن عباد " بعد ذلك حينما عقد الطرفان إتفاقاً يتم بموجبه أن يؤمن " ابن الأفطس " جيش" أبى القاسم بن عباد " بقيادة إبنه " إسماعيل " حينما يمر بأراضيه قاصداً الوصول إلى جليقيه لمحاربة

(٥٩) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، جـ ١ ، ص ٢٠ .
(٦٠) ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٣ ، ص ٢٠٢ .
(٦١) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، جـ ١ ، ص ٢٢ .؛ ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٣ ، ص٢٠٣ .
(٦٢) ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٣ ، ص ١٩٣ .
(٦٣) صلاح خالص : إشبيلية فى القرن الخامس الهجرى ، ص ١٢١

النصارى ، لكن " ابن الأفطس " نكث عهده وغدر به حيث إنقض رجاله على جيش " إسماعيل بن عباد " فى طريق عودته من غزوته وهاجمه وقتل كثيراً من عسكره واستسلم له عدد كبير منهم ، ووقع إسماعيل ومن معه فى ضائقة اضطرتهم إلى ذبح خيولهم والاغتذاء بلحومها ، وشق " إسماعيل " طريقه إلى أشبونة (٦٤) . أما جيشه فقد كان ضحية الصراع بين بنى الأفطس وبنى عباد حيث أصبح فريسة سهلة للنصارى الذين هاجموهم وقتلوا منهم أعداداً طائلة ، وكانت حادثة شنيعة أثارت العداوة بين بنى عباد وبنى الأفطس (٦٥) .

وكان أهم ما يهدف إليه القاضى " أبو القاسم بن عباد " هو محاربة البربر بعد أن حملت إشبيلية على عاتقها مواجهتهم والتصدى لهم بدلاً من قرطبة ، وكانت تلك الزعامة الإسمية لـ " يحيى بن على بن حمود " على إشبيلية تسبب ضيقاً لابن عباد ونقض مضجعه وكان يريد التخلص منها وبخاصة بعد أن ثبت " يحيى بن على بن حمود " أقدامه فى الحكم حيث تعقب عمه " القاسم بن حمود " عند لجوئه إلى شريش ، فحاصره وأخذه أسيراً عنده مع بنيه وسجنهم جميعاً فى مالقة واستولى على شريش ، كما طرد " محمد بن عبدالله البرزالى " من قرمونة واستولى عليها ، وأصبح بذلك يمتلك شريش ومالقة وقرمونة والمرية وسبته (٦٦) .

علي أن إرتفاع شأن " ابن حمود " أمراً يقلق بال " أبى القاسم بن عباد " خوفاً من أن تتحول سيادته الإسمية على إشبيلية إلى سيادة فعلية ، ولهذا كان لابد لـ " ابن عباد " أن يتخلص من هذه السيادة ، ففكر فى أن يدين بالطاعة لخليفة آخر هو " هشام المؤيد "

---

(٦٤) ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٣ ، ص ٢٠٢ .؛ و أشبونة Lisboa مدينة فى غرب الأندلس آخر الإقليم الخامس ، وهى مدينة رائعة البنيان ولها سور وقصبة منيعة ، ويقال لها " لشبونة" ، وتتصل بـ " شنترين " ، وتقع على مصب نهر كما تشرف على البحر ، وهى من كور باجة المختلطة بها . أنظر : الحموى : معجم البلدان ، جـ ١ ، ص ٢٣١. ؛ القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ٥ ، ص ٢١٥ .؛ الحميرى : الروض المعطار ، ص ٦١ .

(٦٥) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، جـ ١ ، ص ٢٢ .؛ ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٣ ، ص٢٠٣ .

(٦٦) ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٣ ، ص ١٤٤ .

الذى أظهره " أبو القاسم بن عباد " فجأة وابتدع قصة قال فيها أنه لم يمت على يد "سليمان المستعين " (٦٧) ، واستغل شك الأندلسيين فى مسألة موته فذكر أنه فر هارباً من قرطبة لينجو بنفسه ، وأنه قد عثر عليه فى إشبيلية مستقراً بإحدى القرى ويعمل مؤذناً فى مسجدها ويتقوت من هذا العمل (٦٨) . وذكر " ابن الأثير " نقلاً عن " ابن أبى الفياض " أن " هشام المؤيد " قد ظهر فى مالقة ثم ذهب إلى المرية فخافه صاحبها " زهير العامرى " فأخرجه منها ، فقصد "قلعة رباح " (٦٩) ، فأطاعه أهلها فسار إليهم صاحبها " ابن ذى النون " وحاربهم فضعفوا عن مقاومته وأخرجوا هشام من بلدهم فاستدعاه القاضى " أبو القاسم بن عباد " إلى إشبيلية (٧٠) .

ويتضح من قول " ابن أبى الفياض " أنه صدق ظهور الخليفة " هشام المؤيد " فعلاً وخدع بما قاله " أبو القاسم بن عباد " فى حبكة ودهاء لتحقيق أغراضه السياسية منتهزاً ما حدث لهشام قبل ذلك حيث قيل أنه مات على يد " محمد بن هشام بن عبد الجبار " فى عهد بنى عامر ثم ظهر مرة أخرى فى عهد " سليمان المستعين " الذى قتله ولم يعلن جثته مما أثار إرتياب الأندلسيين فى مسألة موته (٧١) . وكان هذا المشبه بهشام يدعى " خلف الحصرى " وقد رآه نساء القصر والخدم فاعترفوا به ، وصدقهم الكثير من الناس الذين كانوا

(٦٧) ذكر عبدالواحد المراكشى فى كتابه المعجب أن هذه القصة حدثت فى عهد المعتضد واستمرت حتى سنة ٤٥٥هـ أنظر : المعجب ، ص ١٥٢ .

(٦٨) ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ١٥٤ .

(٦٩) قلعة رباح calatarava تقع غرب طليطلة تابعة لكورة طليطلة تقع مابين قرطبة وطليطلة ، وهى مدينة محصنة نشأت فى عهد بنى أمية ، وتقع على نهر آنة ولذا يجود بها الزرع وترعى الماشية وهى من الحصون الأمامية للدفاع عن الأندلس سقطت فى عصر الموحدين ، ، أنظر : ابن غالب : فرحة الانفس، م ١ ، جـ ٢ ، ص ٢٨٩ .؛ الحميرى : الروض المعطار ، ص ٤٦٩. ؛ عبير زكريا سليمان : قلعة رباح الحصن الأمامى للأندلس ، كلية الآداب ، جامعة المنوفية،سنة ٢٠٠٨ م .

(٧٠) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، دار الفكر ،سنة١٩٧٨م ، جـ ٩ ، ص ٢٨٥ .؛
Dozy : Histoire Des Musulmans , V.III , P. 12- 16 .

(٧١) ابن الخطيب : أعمال اعلام ، ص ١٥٤ .

يتمنون عودة الخلافة الأموية ، وقد أشار " ابن عذارى " إلى أن :" من أبى أن يشهد بأن هذا هو هشام المؤيد حاط به البلاء فأصبح إما مقتول أو يفرق من بلده " (٧٢) .

وقد دان له " ابن عباد " بالطاعة وأعلنه خليفة للأندلس ، وعين نفسه وزيراً له(٧٣) دعا ملوك الطوائف إلى مبايعته فأرسلوا رسلهم للتأكد منه ، وقيل أنه عرض عليهم فى غرفة مظلمة وأنه كان شديد الشبه بـ " هشام المؤيد " . على أن بعض ملوك الطوائف قد وجدها فرصة للتخلص من بيعتهم لبنى حمود ، واعترفوا بالخليفة الموجود فى إشبيلية إعترافاً إسمياً ودعوا له على المنابر ، وكان من هؤلاء " ابن جهور" فى قرطبة الذى أقام له احتفالاً رسمياً بمسجد قرطبة (٧٤) ، و " محمد بن عبد الله البرزالى " فى قرمونة و "عبد العزيز العامرى " فى بلنسية ، و " مجاهد العامرى فى دانية و جزائر البليار وأمير طرطوشة(٧٥) ، و " حبوس بن زيرى " فى غرناطة ، وإن كان بعض المؤرخين قد أنكر بأن يكون حبوس قد اعترف بـ " هشام المؤيد " لما كان بينه وبين " يحيى بن حمود " من صداقة(٧٦) . وقد ورد عند ابن عذارى نقلاً عن " ابن القطان " أن الوفود التى أرسلها زعماء الطوائف للتعرف على هشام الدعى قد أنكرته إنكاراً شديداً ومنهم من استراب فى أمره ، غير أنه لم يظهر أحد منهم لهذا الرجل طاعة ولاخاطبه ولاوقف له عند أمر أو نهى (٧٧) ، وقد خالف بذلك أغلب المصادر التى أجمعت على التفاف ملوك الطوائف حول الخليفة المزعوم وتأييدهم له واعترافهم به ، ويبدو أنه كان يقصد الفترة التى أعقبت مقتل " يحيى بن على بن حمود " ، فقد تنفس ملوك الطوائف الصعداء بعدما تخلصوا من زعيم البربر وتنكروا لـ" هشام المؤيد"(٧٨) .

---

(٧٢) ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٣ ، ص ٢٠٠ .
(٧٣)نفس المصدر والصفحة .؛ الزركلى : الأعلام ،دار العلم للملايين ،بيروت ،سنة١٩٧٦م، ص ٣٥ ، ٣٦ .
(٧٤) ابن خميس : أدباء مالقة ، ص ١٩٩. نقلاً عن صلاح خالص : إشبيلية فى القرن الخامس الهجرى ، ص ١٢٢ .
(٧٥) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٩ ، ص ٢٨٦ .
(٧٦) صلاح خالص : إشبيلية فى القرن الخامس الهجرى ، ص ١٢٣ .
(٧٧) ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٣ ، ص٢٠٠ ، ص ٢٠١ .
(78) Scott : Morish Empire , V.II , P. 126 , 129 .

وقد ندد الفقيه " ابن حزم " بقصة هذا الخليفة المزعوم ، ووصفها بأنها :" أخلوقة لم تقع فى الدهر مثلها " أن يقوم أربعة رجال فى مسافة ثلاثة أيام فى مثلها كلهم يتسمى بأمير المؤمنين ويخطب لهم فى زمن واحد وهم " خلف الحصرى " بإشبيلية على أنه "هشام المؤيد " و " محمد بن القاسم بن حمود " فى الجزيرة الخضراء و " محمد بن إدريس بن على بن حمود " فى مالقة و " إدريس بن يحيى بن حمود " فى بشتر (٧٩) .

ولم يقف " يحيى بن على بن حمود " مكتوف اليدين أمام ضربة القاضى " أبى القاسم بن عباد " التى حققت الهدف المرجو منها وزعزعت مكانة " ابن حمود " الذى أراد أن يثأر لنفسه فحاصر إشبيلية ، ولكن طائفة من أبناء عم " محمد بن عبد اللّٰه البرزالى" ذهبوا إليه فى إشبيلية وأخبروه هو و" ابن عباد " أن " يحيى بن على بن حمود " كان غارقاً فى الشرب واللهو فى قرمونة ، فانتهز " ابن عباد " الفرصة لاسترداد قرمونة وأرسل جيشاً بقيادة إبنه " إسماعيل " ومعه أمير قرمونة " محمد بن عبداللّٰه البرزالى " وأعدوا له كميناً فخرجت سرية صغيرة أمام قرمونة واختبأ باقى الجيش ، فلما علم " ابن حمود " بمقدمهم وكان مكباً على شرب الخمر فقال :" واه بياض بختى وابن عباد زائرى " وخرج إليه مع أصحابه وغلمانه ودارت بينهما معركة عنيفة ، وأظهر فيها " ابن حمود " براعة لولا كثرة عدد الإشبيليين الذين استطاعوا هزيمته وقتله فى ٧ محرم سنة ٤٢٧هـ١٠٣٥م (٨٠) وحزت رأسه وأرسلت إلى " ابن عباد " الذى فرح فرحاً شديداً بما حققه جيشه ، وركع شكراً للّٰه هو وكل من حوله (٨١) .

---

(٧٩) ابن حزم : نقط العروس ، ص ٩٧ ، ٩٨ .؛ ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ١٥٤ .؛ محمد عبدالله عنان : دولة الإسلام فى الأندلس ، ـ ص ٣٨ . والجزيرة الخضراء تقع فى الإقليم الرابع وهى أول مدينة فتحت على يد المسلمين سنة ٩٠هـ ومرساها قريب من العدوة ، عرفت بالبساتين والمياه الجارية وعرف نهرها بوادى العسل وتعد من كور إشبيلية وتتصل بشذونة . أنظر : الإدريسى : نزهة المشتاق ، ص ٥٣٩ ، ٥٤٠ .؛ القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٥ ، ص ٢١٣ ؛ الحميرى : الروض المعطار ، ص ٢٢٣ .

(٨٠) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، جـ ١ ، ص ٣١٦ .

(81) Dozy : Histoira Des Muslmanes' V.III , P. 16 .

واستمرت الهزيمة على أصحاب "يحيى بن على بن حمود " حتى ضايق ذلك " محمد بن عبدالله البرزالى " الذى أخذه الحنين إلى قومه كما ذكر ابن بسام ، وطلب من ابن عباد " أن يحقن الدماء فكان له ما أراد ، وعاد إلى قرمونة ليتولى حكمها مرة أخرى بصحبة جيش " أبى القاسم بن عباد " (٨٢) . وقد عثر على رأس " يحيى بن على بن حمود" فى خزائن " المعتمد على الله " حفيد " أبو القاسم بن عباد " بعد مدة طويلة وكان الرأس قد تغير شكله ، فطلبته حفيدته " سبيعة " وأخذته من " المعتمد بن عباد " ودفنته فى المسجد الذى دفن فيه " عبدالعزيز بن موسى بن نصير ".

وانتهز " أبو الحزم بن جهور " فرصة الخلاص من " يحيى بن على بن حمود " وتملص من الدعوة لـ "هشام المؤيد " وأنكر خلافته وخلع طاعته وأخذ يسب فيه وفى من سببه ، فلما أراد " أبو القاسم محمد بن إسماعيل " أن يعلن احتفالاته بمقتل " يحيى بن على" فى عاصمة الخلافة قرطبة سد " ابن جهور " أبوابها ورفض أن يدخل " ابن عباد " ومن معه إليها ، فحاصر " أبو القاسم بن عباد " قرطبة مدة يوم واحد ثم عاد إلى إشبيلية حاقداً على " ابن جهور " وأصبح يكن له الكراهية ويتوعده بالأذى (٨٣) ، وكان ذلك سبباً فى الصراعات التى دارت بين إشبيلية وقرطبة بعد ذلك .

ولم تستمر العلاقات بين " أبو القاسم بن عباد " و " محمد بن عبدالله البرزالى " حاكم قرمونة على ما كانت عليه حيث حدث ماكان يخشاه البرزالى وهو أن ابن عباد فكر فى ضم قرمونة إلى أملاكه لمجاورتها لإشبيلية ، كما أنه أراد أن يتخلص من حكم البربر نهائياً ، واعتبر ذلك خطوة هامة نحو تحقيق مخططه فى توسيع أملاكه وضم غرب الأندلس تحت حكمه . ومما ساعده على التفكير فى ذلك تكون حلف جديد ضده يجمع كل من " زهير الصقلبى " صاحب المرية و" حبوس بن ماكسن " صاحب غرناطة ، و " محمد بن عبدالله

(٨٢)نفس المصدر ، ص ٣١٦ ـ ٣١٨ .
(٨٣) ابن عذارى : البيان ، جـ ٣ ، ص ٢٠١ .

البرزالى " صاحب قرمونة ، وكانوا قد جددوا البيعة للخليفة الحمودى الجديد "إدريس المؤيد " الأخ الأصغر لـ " يحيى بن على " ، وقد ولاه الخلافة "ابن بقنه" (أبو جعفر محمد بن موسى) ونجا الخادم الصقلبى مدبرا أمور الحسينيين(٨٤) وأرسلا إبنى " يحيى بن على " إدريس و حسن ، ليتوليا أمر سبته وطنجه(٨٥) ولم يكتف هؤلاء المتحالفون بخلع طاعة " هشام المؤيد " بل هاجموا إشبيلية واحتلوا قرية طشتانة وحصن زعبوق وأحرقوا طريانة واقتربوا من إشبيلية ثم عادوا أدراجهم (٨٦) .

وكان طبيعياً أن يشترك فى هذا الحلف " زهير العامرى " صاحب المرية ، ذلك لإن " ابو القاسم بن عباد " أراد محاربته وأرسل له جيشاً بسبب عدم خطبته للخليفة المزعوم "هشام المؤيد " ، ولكن " زهير " استعان بـ " حبوس بن ماكسن " صاحب غرناطة مما أدى إلى عودة قوات ابن عباد دون قتال (٨٧) ، وبذلك أراد زهير أن يتغلب على ابن عباد قبل أن يعود إلى مهاجمته مرة أخرى . على أن الظروف قد خدمت ابن عباد وخلصته من" زهير العامرى " حينما حدث خلاف بين العامرى وحبوس قتل على أثره زهير سنة ٤٢٩هـ / ١٠٣٧م (٨٨) .

وخلف العامرى " عبد العزيز بن عبد الرحمن شنجول " الذى كان يعد المرية ميراثاً شرعياً له (٨٩) ، وكان على علاقة طيبة بإشبيلية فزال هم المرية عن " ابن عباد " ولم يتبق

(٨٤) الحسنيون : إسم يطلق على الحموديين لانتسابهم للحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنهما .
(٨٥) عبد الواحد المراكشى : المعجب ، ص ١١٤ ، ١١٥ .
(٨٦) ابن عذارى : البيان ، جـ ٣ ، ص١٩٠ ، ١٩١ .؛ إسماعيل العربى : الأدارسة ملوك تلمسان وفاس وقرطبة ، دار الغرب الإسلامى ، بيروت ،سنة١٩٨٣م ،ص ٢٦٤ ؛ زعبوقه . من الحصون التابعة لإشبيليه . إسماعيل العربى ، المرجع السابق والصفحة ؛ طريانه : مدينة ممتدة على شاطئ النهر الأعظم فى مقابل إشبيليه وهى مسوره وفيها حمامات وأسواق ، وهى مدينة أزليه بقع على نهر تاجه ؛ ابن سعيد المغرب ، جـ٢ ، ٢٩٣.؛ الحميرى : وصف جزيرة الأندلس على النت .
(٨٧) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٩ ، ص ٢٨٦ .
(٨٨) نفس المصدر والجزء ، ص ٢٨٦ . ؛ على أدهم : المعتمد بن عباد ، ص ٥٤ .
(٨٩)السيدعبدالعزيز سالم : تاريخ مدينة المرية الإسلامية منذ إنشائها حتى إستيلاء المرابطين عليها ، الهيئة العامة للكتاب ـ الإسكندرية ١٩٨١م ـ ١١٦ ، ١١٧ . ؛ محمد أحمد أبو الفضل : تاريخ مدينة المرية قاعدة أسطول الأندلس ،مؤسسة شباب الجامعة ـ الإسكندرية ،سنة١٩٨٤ م ـ ص٧٢ ، ٧٣

أمامه سوى محاربة البربر والتخلص منهم ، فبدأ بمهاجمة قرمونة ومحاصرتها ، ثم نهض إلى أشونة (٩٠) ، وحصن أستجه (٩١) فأخذهما ، وكانتا تحت سيطرة " محمد بن عبدالله البرزالى " . وحقق جيش القاضى " أبو القاسم بن عباد " إنتصارات باهرة تحت قيادة إبنه " إسماعيل " ، فاستنجد " محمد بن عبدالله البرزالى " بـ " إدريس بن على بن حمود " صاحب مالقة و" باديس بن حبوس " صاحب غرناطة الذى تولى بعد وفاة أبيه فأمراه بالجيوش وأرسل له " إدريس " جيشاً بقيادة " ابن بقنة " (أبو جعفر محمد بن موسى) وحضر إليه باديس بن حبوس ، ولكن هذه الجيوش مجتمعة مع جيش البرزالى خشيت بأس جيش " إسماعيل بن عباد " فتفرقت وانصرف كل إلى بلده ، فاغتر إسماعيل بجيشه وأراد ملاحقة باديس بن حبوس ، ولكن صاحب صنهاجة أرسل له " ابن بقنة " ليتصدى له والتقت الجيوش وانهزم جيش " إسماعيل بن عباد " الذى قتل وحملت رأسه إلى "إدريس بن على بن حمود " (٩٢) ، الذى كان فى حالة سيئة ولم يمكث سوى يومين ومات سنة ٤٣١هـ١٠٣٩م وتولى الحكم بعده " حسن بن يحيى بن على بن حمود " وتلقب بالمستنصر (٩٣) ، أما القاضى " أبو القاسم بن عباد " فقد اغتم غماً شديداً لوفاة إبنه الأكبر وازداد حنقاً وكرهاً للبرزالى ، وندب ولده الثانى عباد لتدبير الشئون وقيادة الجيش فأبدى قوة وحزماً ولبث زهاء عامين مضطلعاً بمهمته حتى توفى أبوه فى نهاية جمادى الأولى سنة ٤٣٣ه-١٠٤٢م (٩٤) .

(٩٠) أشونة Osuna من كور أستجه القريبة منها ، وحصنها ممدن كثير الساكن ، أنظر : الحميرى : الروض المعطار ، ص ٦٠ .

(٩١) أستجه Ecija : مدينة قديمة تتصل بكورة رية كثيرة المرافق ، وهى تابعة لمدينة إشبيليه وفق تقسيم قسطنطين ، بنيت على نهر غرناطة وبينها وبين قرطبة ثلاثين ميلاً ، ولها معاقل حصينة وجبالها شامخة تعلو جبال الأندلس ، تخرج منها الأنهار ولايدخلها نهر ولايساويها جبل الأندلس . ابن غالب : قطعة من كتاب فرحة الأنفس ، ص ٢٥٩ الحميرى : الروض المعطار ، ص ٥٣ ؛ إبراهيم عبد المنعم سلامه : التاريخ السياسى لمدينة إستجه الأندلسية ، مجلة المؤرخ العربى ، ع ٨ ، مج ١ ، مارس سنة٢٠٠٠م .

(٩٢) ابن عذارى : البيان ، جـ٣ ، ص ١٩٩ ؛ عبدالواحد المراكشى : المعجب ، ص ١١٤ .

(٩٣) ابن حزم : رسائل ابن حزم ، جـ ٢ ، ص ٢٠٤ ـ ٢٠٨ .

(٩٤) يشير الحميدى إلى أنه مات سنة ٤٣٠هـ أنظر : الجذوة ، ق ١ ، ص ١٣٤ .؛ ويذكر عبدالواحد المراكشى أنه مات سنة ٤٣٩هـ أنظر : المعجب ، ص ١٥٠ .؛ محمد عبدالله عنان : دول الطوائف ، ص ٣٩ .

ويمكن القول أن القاضى"محمد بن إسماعيل بن عباد " هو مؤسس دولة بنى عباد الحقيقى وهو الذى جعلها من أقوى دول الطوائف بذكائه ودهائه وحسن سياسته التى جعلته يغتنم الفرص لصالحه ، وحتى حينما ضاقت به الأمور اصطنع الظروف بنفسه كما فعل فى قصة " هشام المؤيد " التى قال عنها ابن حزم :" أخلوقة لم يقع فى الدهر مثلها ظهر رجل حصرى بعد إثنتين وعشرين سنة من موت هشام بن الحكم المؤيد وادعى أنه هو فبويع له وخطب له على منابر الأندلس فى أوقات شتى ، وسفكت الدماء وتصادمت الجيوش فى أمره"(٩٥) ، فاستغله ملوك الطوائف كل حسب ظروفه ، فاعترف به " ابن جهور" ليتخلص من بيعة " يحيى بن على بن حمود " ثم تنكر له بعد مقتل ابن حمود كما سبقت الإشارة ، كما استغل " عبدالله بن حكيم " (٩٦) هذه الظروف وقتل ابن عمه " منذر بن يحيى التيجبى (٩٧) " حاكم سرقسطة سنة ٤٣٠هـ / ١٠٣٨م لعدم اعترافه بخلافة " هشام المؤيد "، وقد احتج بهذا للخلاص منه والاستيلاء على الحكم (٩٨) . أما بطليوس فلم تعترف به لعدائها لإشبيلية ، وكذلك سرقسطة وطليطلة لم يكن موقفهما واضحاً (٩٩)

(٩٥) ابن حزم : نقط العروس ، ص ٩٧ .

(٩٦) عبد الله بن حكيم ابن عم منذر بن يحيى التجيبى حاكم سرقسطة ، ومن القادة المتقدمين لديه ، وقد قتل ابنه عمه طمعاً فى الحكم . أنظر : ابن عذارى : البيان ، جـ٣ ، ص ١٧٨ ؛ عنان : دول الطوائف ، ص ٢٦٩ .

(٩٧) منذر بن يحيى التجيبى : ينتمى لأسرة بنو تجيب أصحاب ودروقة وقلعة أيوب الذين أستولوا على سرقسطة فى عهد الأمير عبد الله وأقر زعيمهم أبو يحيى محمد بن عبد الرحمن التجيبى (الأنقر) على الحكم ، وخرجوا على طاعة الأمويون فى فترة الفتنة الأولى ثم أخضعهم عبد الرحمن الناصر ورد زعيمهم محمد بن هشام التجيبى الى منصبه حاكماً لسرقسطة . وظل حكمهم لسرقسطة فى عصر الدولة العامرية . ويعتبر المنذر بن يحيى أول من حكم فى عصر الطوائف وتلقب بالحاجب والرياستين أنظر : ابن بسام : الذخيرة : ق١ ،ج١،ص ٢٠ ، ١٨٠ ؛ ابن عذارى : البيان ، جـ٣ ، ١٧٧ ؛ ابن سعيد : المغرب ، جـ٢ ، ص ٤٣٥ ؛ ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ١٩٦ ؛ محمد عبد الله عنان : دول الطوائف ، ص ٢٦٦ .

(٩٨) ابن عذارى : البيان ، جـ ٣ ، ص ١٧٨ .؛ رجب عبدالحليم : العلاقات بين الأندلس وأسبانية المسيحية فى عصر بنى أمية وملوك الطوائف ، دار الكتاب المصرى ودار الكتاب اللبنانى ، ب. ت. ، ص ٢٧٨ ، ٢٧٩ .

(٩٩) يوسف أحمد حوالة : بنو عباد فى إشبيلية (٤١٤ ـ ٤٨٤هـ / ١٠٢٣ ـ ١٠٩١م) دراسة سياسية وحضارية ، دار العلم للطباعة والنشر ، السعودية ،سنة ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م ، ص ١٠٦.

واستمر القاضي "أبو القاسم بن عباد" حاجباً للخليفة المزيف حتى توفى في٤٣٣هـ١٠٤٢م(١٠٠).

وإذا كان " ابن عباد " لم يحقق غايته فى ضم الأندلس كلها تحت حكمه فإنه قد أرسى دعائم أكبر دولة من دول الطوائف ووسع أملاك إشبيلية ، ورسم لأبنائه وحفدته طريقاً ساروا عليه من بعده ، فهو كما وصفه ابن خاقان :" إقتنص لهم الملك النافر واختصهم بالحظ الوافر، فإنه أخذ الرياسة من أيدى جبابر ، وأضحى من ظلالها أعيان أكابر، عندما أناخت بها أطماعهم وأصاخت إليها أسماعهم " (١٠١) . ولما أحس إبنه "أبو عمر عباد بن إسماعيل " بثبوت قدميه فى الحكم أعلن موت الخليفة وذكر أنه قد عهد إليه بأمر الخلافة من بعده وكان ذلك سنة ٤٥٥هـ / ١٠٦٤م ، وتلقب بالمعتضد بالله وذلك بعد أن إطمأن إلى ترسيخ قواعد الدولة وتوطيد دعائمها ، وقد خالف بذلك سياسة أبيه الذى تمسك بلقب القاضى حفاظاً على مكانته الدينية ولإحساسه بعدم شرعية حكمه حتى أنه سعى إلى تحقيق ذلك من خلال إدعائه بعثوره على " هشام المؤيد " ، وجعل نفسه حاجباً له حتى يحصل على هذه الشرعية (١٠٢) .

وقد شكك بعض المؤرخين فى انتساب " ابن عباد " إلى ملوك الحيرة وذكروا أنه أعلن ذلك ليحقق شرعية حكمه (١٠٣) ، إضافة إلى أنه لم يكن قد وطد دعائم دولته بعد. أما " أبو عمرو عباد بن إسماعيل المعتضد " فقد ادعى أن الخليفة هشام حينما توفى ترك

---

(١٠٠) ابن الأبار : الحلة السيراء ، جـ ٣ ، ص ٣٨ .؛ ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، جـ ١ ، ص٢٣ ، ٢٤ .؛ ويشير ابن خلكان إلى أن القاضى أبا القاسم قد انفرد بأمر إشبيلية بعد وفاة الخليفة المزعوم سنة ٤٥١هـ ، ولايمكن أن يحدث هذا لأن القاضى توفى سنة ٤٣٣هـ أنظر : وفيات الأعيان ، جـ ٥ ، ص ٢٢ ،٢٣ .؛ يوسف حوالة : بنو عباد ، ص ١٤٠ ، ١٤١ .

(١٠١) ابن خاقان : مطمح الأنفس ، ص ١٦٩ ـ ١٧١ .

(١٠٢) ينقل عن القاضى أبو القاسم أنه قال :

ولابد يوماً أن أسود الورى	ولو رد عمر للزمان عامر
فما المجد إلا فى ضلوعى كامن	ولا الجود إلا من يمينى ثائر
فجيش العلا مابين جنبى حائل	وبحر الندى مابين كفى زاخر

أنظر : ابن الأبار : الحلة السيراء ، جـ ٢ ، ص ٣٨ .

(103) Dozy : Histoire des Musulmans , T III , P. 118 .

له وصية بتولى الخلافة من بعده (١٠٤) ، وتخلص من كل أعدائه المعرقلين لطريقه وعلى رأسهم وزير أبيه حبيب . وقد سار على نهج أبيه فى حكم إشبيلية حكماً فردياً ، وتألق نجمه وأصبح من أقوى الشخصيات صلباً قوياً سفاكاً للدماء حتى ذكر أنه لديه حديقة مملوءة برؤوس أعدائه . وقد قام بالعديد من الحروب والغارات الناجحة على الإمارات المحيطة به فاتسعت رقعة دولته ، كما ثأر لأخيه الأكبر إسماعيل الذى قتل فى حياة أبيه على يد البربر كما سبق الذكر ، فأرسل إلى " محمد بن عبدالله البرزالى " سرية بقيادة إبنه إسماعيل فأغار على قرمونة وقتل البرزالى سنة ٤٣٤هـ / ١٠٤٣م (١٠٥) . ومات " المعتضد بالله " سنة ٤٦٤هـ/ ١٠٦٣م تلك الشخصية التى أفرزتها الحروب والصراعات السياسية التى انتشرت فى الأندلس فى تلك الحقبة ، فكان مهيب الجانب شجاعاً قاسى القلب سياسياً محنكاً وقائداً ماهراً ومحارباً جسوراً (١٠٦) .

وقد خلفه إبنه " أبو القاسم محمد بن إسماعيل بن عباد " الذى لقب بالمعتمد على الله (١٠٧) ، فكان أشهر ملوك الطوائف قاطبة وأقوى حكام بنى عباد ، وقد اتسع حكمه حتى وصل إلى مرسية ، وضم العديد من الأقاليم ، واستولى على قرطبة بعد هزيمته لابن عكاشة (١٠٨) . ولكن مما أخذ عليه أنه استعان بالنصارى فى محاربته لملوك الطوائف وكان يدفع لهم جزية سنوية كما كان يفعل مع معظم ملوك الطوائف على الرغم من أنه

---

(١٠٤) عبدالواحد المراكشى : المعجب ، ص ١٥١ ، ١٥٢ .

(١٠٥) ابن خلدون : العبر ، جـ ٤ ، ص ٢٠١ .

(١٠٦) أنظر ترجمة المعتضد بالله فى : الحميدى : الجذوة ، ق ٢ ، ص ٤٦٨ ، ٤٦٩ .؛ الضبى: بغية الملتمس ، جـ ٢، ص ٥١٥ ؛ ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، جـ ١ ، ص ٢٣ – ٢٧ ؛ ابن الأبار: الحلة ،جـ ٢ ، ص ٣٩ – ٥٢ ؛ ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ١٥٥ – ١٥٧ .

(١٠٧) عرفت هذه الأسرة بالولع بالأدب والشعر وخاصة المعتمد بن عباد الذى كانت له قصائد مشهورة ، أنظر ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، جـ ١ ، ص ٤١ ـ ٤٣ .؛ ابن خاقان : مطمح الأنفس ،ص ١٦٩ و ١٧٢ ؛ رضا الحبيب السويسى : ديوان المعتمد بن عباد ملك إشبيلية ، الدار التونسية للنشر ١٩٧٥م ، ص ١٣١ ـ ١٣٩ .

(١٠٨) ابن الكردبوس : تاريخ الأندلس ، ص ٨٤ ؛ ابن الأبار : الحلة السيراء ، جـ٢ ، ص ١٧٧ ؛ ابن خلدون : تاريخه ، جـ٤ ، ص ٢٠٤ ، ٢٠٥ .

Dozy : Historie des Muslmanes , P. 238 .

كان أقواهم ، وكان من المفروض أن يحثهم ويقودهم إلى مواجهة النصارى (١٠٩) . وظل المعتمد على ذلك حتى وقعت الحادثة الشهيرة التى أسهبت المصادر فى الحديث عن خلافه مع رسول ألفونسو السادس وقتله له وتأزم العلاقة بينه وبين النصارى حتى فكر فى إستدعاء المرابطين الذين حاربوا النصارى وانتصروا عليهم فى موقعة الزلاقة الشهيرة سنة ٤٧٩هـ / ١٠٨٧م (١١٠) وانتهى الأمر باستيلاء المرابطين على الأندلس فى سنة ٤٨٧هـ / ١٠٩٦م ، والقضاء على ملوك الطوائف ، واعتقال " المعتمد بن عباد بن محمد بن بن عباد " سنة ٤٨٤هـ / ١٠٩٢م هو ومن معه من آل بيته ، وهو ما عرف بمحنة بنى عباد ، وقد أمضى حوالى عشر سنوات فى الحكم ، وبذلك أسدل الستار على دولة بنى عباد وليبدأ فى الأندلس عصر جديد (١١١) .

٢ ـ بنو عباد والمواقف السياسية لبعض الفقهاء

فى نهاية الحديث عن الدور السياسى للقاضى " محمد بن إسماعيل بن عباد " وجهوده فى تأسيس دولة بنى عباد فى إشبيلية تجدر الإشارة إلى بعض المواقف السياسية لبعض الفقهاء ، فقد كان للقاضى مكانته الرفيعة فى الأندلس ، ولسنا هنا بصدد الحديث عن القاضى وإنما تناول دور الفقيه عموماً وماكان يتولاه من مناصب كالشورى والقضاء والمظالم والحسبة والسوق الأحباس وهى أمور تخدم النظام السياسى ، فالقاضى وظيفته فض الخصومات بين المتنازعين وكان يعين من قبل الحاكم مباشرة (١١٢) ، ولكن فى فترة ضعف الحكام يمكن أن يزداد نفوذ القاضى خاصة وأن له مكانة بين العامه كما حدث مع

(109) Lanepool : Mohamadan Dynasties , P. 20 .

(١١٠) مؤلف مجهول : الحلل الموشيه ، ص ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ؛ المقرى : نفح الطيب ، جـ ٢ ، ص ٤٦٧ ـ ٥٣٥ .؛ شوقى أبو خليل : الزلاقة بقيادة يوسف بن تاشفين ـ دار الفكر ،بيروت ١٩٨٠م ، ص ٣٩ ـ ٥٨ .

(١١١) عن ترجمة المعتمد بن عباد أنظر ابن بسام : الذخيرة ، ص ٢٦ ـ ٨٠ .؛ ابن الأبار : الحلة ،ص ٥٢ ـ ٦٧ .؛ عبدالواحد المراكشى : المعجب ، ص ١٥٨ ـ ٢٠٥ ؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ٥ ، ص ٢٥ – ٤٤ ؛ ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ١٥ وما بعدها ؛ المقرى : نفح الطيب ، جـ٦ ، ص ٢٠ – ٤٠ ؛ دائرة المعارف الإسلامية جـ٢ ، ص ٢٠٧ ، ٢٠٨ ؛ رضا حبيب السويسى : ديوان المعتمد بن عباد ؛ على أدهم:المعتمد بن عباد، ص ٩٤ – ١٧٨ .

(١١٢) ابن عبدون : رسالة ابن عبدون ، ص ٧ ، ٨ .

"أبو القاسم محمد بن إسماعيل". وللقاضى أعوان ومشاورون من الفقهاء يأخذ برأيهم ويستشيرهم وعليهم معاونته ونصحه (١١٣) . وقد تأثر القاضى " أبو القاسم " بوظيفته فى هذه النقطة حينما تخير أن يحكم إشبيلية حكماً شورياً ، وإن كان ذلك لفترة محدودة ولكنه خرج عن نطاق القاضى حينما حول حكمه إلى حكم فردى بعدما تخلص من أعوانه ، ثم جعله حكماً وراثياً لأولاده وحفدته من بعده ، وبذلك تغلبت طموحاته السياسية على وظيفته الدينية . كما أن أساليبه فى الوصول إلى الحكم والاستقلال بإشبيلية والتى تمثلت فى الغدر والمكر والخداع والدهاء بل والقسوة أحياناً قد أكدت ذلك.وقد اغتر القاضى " أبو القاسم محمد بن إسماعيل " بالملك والجاه ونسى الأساس الذى كانت تقوم عليه وظيفته وهو العدالة فتخلص من كل العراقيل بداية بـ " القاسم بن حمود" وأبنائه ووزيره " محمد بن زيرى " وانتهاءً بأعوانه فى الحكم كالزبيدى والهوزنى وابن حجاج .

أما عن فقهاء هذا العصر فقد وصفتهم كتابات المؤرخين بالتملق لدى الحكام والتقرب إليهم(١١٤) ، وإن كان هناك من الفقهاء من وقف ضد الحكام ونصحوهم بتغيير سياستهم وحضوهم على الجهاد ضد النصارى ، وحذروهم من سوء حالة الأندلس ، ومن هؤلاء الفقيه " أبو حفص عمر بن الحسن الهوزنى " الذى كان مثالاً للشجاعة وروح النقد المستقلة الحرة التى اتخذها بعض الفقهاء الأندلسيين تجاه ملوك الطوائف . ونرى من خلال قتله الشنيع على يد " المعتضد بن العباد " مدى خطورة المواقف التى اتخذها الهوزنى.

(١١٣) نفس المصدر، ص ٩ ، ١٠ .
(١١٤)ابن عذارى: البيان، جـ ٣ ، ص ٣٥٤ .؛ صلاح خالص : إشبيلية فى القرن الخامس الهجرى ، ص ٦٩ ، ٧٠ .

obeikandi.com

أ-الفقيه أبو حفص عمر بن الحسن الهوزنى(٣٩٢-٤٦٠هـ/١٠٠١-١٠٦٧م)[١١٥]

كان من الشخصيات البارزة فى إشبيلية ، ربطته بالمعتضد علاقة وطيدة قبل صعود هذا الأخير إلى الحكم ولكن ساءت علاقتهما بعد ذلك ، غادر الهوزنى إشبيلية بعد إستئذان المعتضد وبموافقته سنة ٤٤٠هـ / ١٠٤٧م [١١٦] . سافر إلى صقلية والشام والعراق واتجه إلى مصر ومكث بها فترة ثم رحل إلى مكه حيث ألقى دروساً خصوصاً فى الحديث النبوى عبر هذه الأقطار ليعود فى نهاية المطاف إلى الأندلس حيث استقر بمرسية التى حكمها آنذاك بنو طاهر وبعد أن استأذن " المعتضد بالله " [١١٧] .

تأثر الهوزنى تأثراً عميقاً بالهجوم النصرانى على بربشتر [١١٨] سنة ٤٥٦هـ / ١٠٦٣م . ١٠٦٤م ، وتألم للمذابح والمعاناه التى عانى منها الأندلسيون فأرسل إلى المعتضد رسائل ملتهبة تحتوى على مقاطع أدبية عاطفية شعراً ونثراً حثه فيها على الجهاد ضد النصارى [١١٩] . ولإن كانت القيمة الأدبية فى وصفه للآلام التى عانى منها الأندلسيون المسلمون مؤثرة حقاً إلا أنه بالغ فى عاطفيته وحماسه وفى صراحته المطلقة ونسى أنه كان يخاطب شخصاً كان ينتظر منه المديح والإعجاب بدلاً من النصائح والإنتقادات مهما كانت مفيدة وبناءة ، علاوة على هذا فقد كان توسله للمعتضد وتحريضه له للدفاع عن الإسلام فى الأندلس مصاحباً باستشهادات من القرآن الكريم تذكره بواجباته الدينية

---

(١١٥) هو أبو حفص عمر بن الحسن بن عبدالرحمن بن عمر بن عبدالله بن أبى سعيد الداخل بجزيرة الأندلس والذى كان صاحب صلاة الجماعة بقرطبة فى عهد عبدالرحمن بن معاوية وابنه هشام الرضى . وهوزن بطن من ذى الكلاع . كانت له منازعات مع القاضى أبى الوليد الباجى أثناء إقامته بمرسيه التى إستقر فيها بعد العودة من رحلته إلى الشرق ، وعاش فيها فى كنف بنى طاهر رؤسائها . وقد ذكر أن المعتضد بن عباد قد قتله بنفسه وأمر أن يدفن بثيابه وقلنسوته ، وهيل عليه التراب داخل القصر دون غسل أو صلاة . أنظر : ابن بسام : الذخيرة ، ق ٢ جـ ١ ، ص ٨١ ـ ٨٣ ؛ القاضى عياض : ترتيب المدارك ، جـ ٤ ، ص ٨٢٥ ، ٨٢٦ .

(١١٦) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٢ ، جـ ١ ، ص ٨٢ .

(١١٧) ابن بسام : نفسه ، ص ٨٢ .

(١١٨) حصن بريشتر Barbastaro من أمهات مدن الثغر الأعلى فى شرق الأندلس ، سقط فى أيدى أهل غاليس تسعة أشهر وأنقذها المقتدر بالله بن هود صاحب سرقطسة ، البكرى : المسالك والممالك ، ت ، جمال طلبة ، جـ٢ دار الكتب العلمية ، بيروت سنة ٢٠٠٣م ، ص ٣٩٧ ، الحموى : معجم البلدان جـ١ ، ص ٣٧٠ ؛ الحميرى : الروض المعطار ، ص ٩٠ .

(١١٩) ابن بسام : نفسه ، ص ٨٤ ـ ٨٩ .

والخلقية بما حمل إشارة ضمنية إلى ابتعاد المعتضد عن الأخذ بالتعاليم الدينية(١٢٠). فأشار عليه المعتضد بالعودة إلى إشبيلية ورحب به فيها ، واستقر بها سنة ٤٥٨هـ ١٠٦٥م وقربه المعتضد إليه كما ذكر ابن بسام :" ولقيه المعتضد فأعلى المحل ، وفوض إليه فى الكثر والقل ، وعول عليه فى العقد والحل .. " (١٢١) . ومع ذلك ربما لم يغفر له المعتضد صراحته وفى سنة ٤٦٠هـ يوم الجمعة ١١ ربيع أول استدرج " أبو عمر عباد بن إسماعيل " المعتضد باللّٰه الفقيه " أبا حفص الهوزنى " إلى قصره وقتله بنفسه وتخلص منه كما هى عادته فى القضاء على كل من يخالفه ، أو حتى يعترض على رأيه (١٢٢) ، وقد ورد عند " ابن سعيد " أنه كان لأبى حفص الهوزنى ولد اسمه " أبو القاسم " ، وقد سعى لفساد دولة بنى عباد عند أمير الملثمين " يوسف بن تاشفين " إنتقاماً لأبيه منهم (١٢٣) .

ب ـ الفقيه أبو محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم(ت.٤٥٦هـ / ١٠٦٣م)

لم يكن أبو حفص الهوزنى وحده ضحية المعتضد باللّٰه بن عباد ولكن يديه امتدت إلى فقيه شهير آخر فطالتها وهو الفقيه " أبو محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم " الذى أسهبت كتابات المؤرخين والأدباء فى الحديث عنه ، فهو أديب وفقيه ومحدث ومؤرخ وفيلسوف وشاعر (١٢٤) سكن قرطبة ، وأصل آبائه من إقليم لبلة (١٢٥) ، وكان أبوه وزيرا لـ "المنصور بن أبى عامر"، كما تولى"أبو محمد" منصب الوزارة للمستظهر باللّٰه ثم نبذها ليتفرغ للعلم (١٢٦) . وقد عرف بالتواضع و الزهد فى الدنيا ، وله مؤلفات عديدة فى

---

(١٢٠) نفسه ، ص ٨٢ ،٨٣ .
(١٢١)ابن بسام : نفسه ، ص ٨٢ ،٨٣ .
(١٢٢) نفسه ، ص ٨٣ .
(١٢٣) ابن سعيد المغربى : المغرب فى حلى المغرب ، جـ ١ ، ص ٢٣٩ ، ٢٤٠ .
(١٢٤) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، جـ ١ ، ص ١٦٧ ـ ١٧٥ .؛ عبدالواحد المراكشى : المعجب ، ص ٩٣ ـ ٩٧ .؛ ابن صاعد الطليطلى : طبقات الأمم ت. حياة بو علوان ، بيروت ١٩٨٥م ، ص ١٧٨ .
(١٢٥) يرجع أصله الى إقليم لبلة Niebla وهى كورة غرب الأندلس وبها ثلاث عيون على نهر لذا يكثر بها الزرع ، وهى سهلة ، جبلية ، برية ، بحرية ، ولها معاقل ومدن منها مدينة لبلة المعروفة بالحمراء ، بينها وبين قرطبة ٤٤ ميل وهى شرق أشبونة وغرب قرطبة ، أنظر : الإدريسى : نزهة المشتاق ، ص ٥٤١ ؛ الحموى : معجم البلدان ، جـ٥ ، ص ١١ .
(١٢٦) عبدالواحد المراكشى : المعجب ، ص ٩٣ ـ ٩٧ .

الفقه والحديث والأدب والتاريخ والمنطق ، وقد كان يميل إلى مذهب الإمام " أبو عبدالله بن إدريس الشافعى "، واستبسل فى الدفاع عن مذهبه بشتى الطرق واعترضه الكثير من الفقهاء المتعصبين للمالكية ، ولكنه تحول إلى المذهب الظاهرى بعد أن غيره ونقحه (١٢٧) . كما أنه كان يحن للخلافة الأموية التى نعم بها وانحاز إليها وتمنى عودتها، الأمر الذى أغضب عليه الحكام ، ولذا عاش حياته مضطهداً مرتحلاً . ولكن كل هذا لم يمنعه من نشر علمه فألف مئات الكتب منها كتابه فى الحديث (الإيصال فى فهم كتاب الخصال) ، وكتابه فى المنطق (الإلتباس مابين أصحاب المنطق والقياس)(١٢٨) وكتاب (الملل والأهواء والنحل) و (جمهرة أنساب العرب) ، وكتاب (الإحكام فى أصول الأحكام) و (الإمامة والخلافة فى سيرة الخلفاء) ، وكتاب (أخلاق النفس) و (نقط العروس)و(طوق الحمامة فى الألفة والآف)و(رسالة الرد على ابن النغريله)(١٢٩) وغيرها الكثير من الكتب حيث ذكر ابنه " أبو رافع الفضل " الذى تولى الوزارة فى عهد "المعتمد على الله " أنه عثر على أربعمائة مجلد لأبيه تشتمل على ثمانين ألف ورقة (١٣٠) أما باقى كتبه فقد أحرقها " المعتضد بالله بن عباد " ومزقها علانية (١٣١) .وظل ابن حزم يقاوم معارضيه ويدرس طلابه العلم غير عابئ بما يحدث له حتى توفى رحمه الله فى قرية لبلة سنة ٤٥٦ هـ١٠٦٣ م (١٣٢) .

وعلى أية حال فإن اضطهاد المعتضد بالله لابن حزم الظاهرى وحرق كتبه يرجع

---

(١٢٧) ابن خاقان : مطمح الأنفس ، ص ٢٧٩ ؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ ٣ ، ص ٣٢٥ ـ ٣٣٨ .
(١٢٨) الضبى : بغية الملتمس ، جـ ٢ ، ص ٥٤٣ ـ ٥٤٥ .
(١٢٩) المقرى : نفح الطيب ، جـ ٢ ، ص ٢٨٨ .
(١٣٠) الحميدى : الجذوة ، ق ٢ ، ص ٤٨٩ .؛ وقد ذكر أن ابن حزم من أصل فارسى ولد بقرطبة سنة ٣٨٤ هـ .
(١٣١) قال ابن حزم شعراً فى ذلك منه :

فإن تحرقوا القرطاس فلا تحرقوا الذى تضمنه القرطاس بل هو فى صـــدرى
يسير معى حيث إستقلت ركائبى وينزل إن أنزل ويدفن فى قبرى
دعونى من إحراق رق وكاغد وقولوا بعلم كى يرى الناس من يدرى
وإلا فعودوا فى المكاتب بدأة فكم دون ماتبغون لله من ستر

أنظر ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، جـ ١ ، ص ١٧٠ .
(١٣٢) ابن سعيد : المغرب ، ص ٣٥٤ ، ٣٥٥ .

إلى ولائه إلى بنى أمية (١٣٣) ، وهى أسباب سياسية بحته بعيدة عن مذهب ابن حزم الدينى الذى خالف المذهب الرسمى للدولة فى ذلك الوقت وهو المذهب المالكى ، وربما كان المعتضد قد أراد أن يتقرب إلى فقهاء المالكية الذين يقفون أمام المذاهب الأخرى ويرفضونها ، أو قد يكون السببان معاً .

على أن السمة الغالبة على بنى عباد ليست معاداة الفقهاء ، فقد نعم العديد من الفقهاء بالعناية وبخاصة فى عهد " المعتمد على الله بن عباد " الذى تولى فى عهده القضاء كل من " محمد بن أحمد بن عيسى بن منظور القيسى " (١٣٤) ، و " عبدالرحمن بن سوار بن أحمد بن سوار " (١٣٥) ، و " عبدالله بن أدهم " (١٣٦) ، و " محمد بن الطلاع " (١٣٨) كما كان للفقهاء دور واضح فى التأثير على بنى عباد فى المهمات السياسية الكبرى كاستشارتهم فى قرار الاستعانة بالمرابطين ضد النصارى على ضوء ما سيتضح بعد ذلك

---

(١٣٣) أمحمد بن عبود : التاريخ السياسى والإجتماعى لإشبيلية ، ص ١٦١ ، ١٦٢ .

(١٣٤) هو محمد بن أحمد بن عيسى بن منظور القيسى الإشبيلى المكنى بأبى بكر ، روى عن الفقيه أبى القاسم بن عصفور الحضرمى وأبى بكر بن عبدالرحمن العواد وغيرهما ، كان قاضياً ومحدثاً وفقيهاً ، وكان حسن السيرة فى القضاء ، استقضاه المعتمد بن عباد بقرطبة وظل بها حتى توفى سنة ٤٦٤هـ وقيل ٤٦٩هـ . أنظر الضبى : بغية الملتمس ، جـ ١ ، ص ٧٥ ، ٧٦ ؛ النباهى : المرقبة العليا ، ص ٩٦ .

(١٣٥) عبدالرحمن بن سوار بن أحمد بن سوار قاضى الجماعة بقرطبة يكنى أبا المطرف ، استقضاه المعتمد على الله بقرطبة بعد ابن منظور يوم الجمعة سنة ٤٦٤هـ ، وتولى القضاء بنفس عزيزة وأخلاق حميدة ، عرف بالذكاء والتواضع ولم يأخذ على عمله فى القضاء أجراً واستمر على سيرته المحمودة حتى توفى سنة ٤٦٤هـ . أنظر ابن بشكوال : الصلة ، جـ ٢ ، ص ٣٢٣ .

(١٣٦) عبيد الله بن محمد بن أدهم من أهل قرطبة وقاضى الجماعة بها ، يكنى أبا بكر ، استقضاه المعتمد على الله وكان من أهل الصرامة فى تنفيذ الأحكام ، جامد اليد عن أموال الناس قليل الرغبة فيما عندهم ، نزهاً متصاوناً ، وكان قد تولى النظر فى أحكام المظالم قبل ذلك ، وكان شوور فى الأحكام بها ، توفى سنة ٤٨٦هـ ودفن بمسجد الضيافة بمقبرة أم سلمة . أنظر ابن بشكوال : الصلة ، جـ ١ ، ص٢٩٣ .

(١٣٨) محمد بن فرج مولى يحيى البكرى المعروف بابن الطلاع من أهل قرطبة (٤٠٤-٤٩٧هـ / ١٠١٣-١١٠٣م) يكنى أبا عبد الله زعيم المفتيين روى عن يونس بن عبد الله وأبى محمد مكى بن أبى طالب وابن الحداد وابن القطان وغيرهم . كان فقيها عالماً حافظاً للفقه على مذهب مالك وأصحابه حاذقاً للفتوى مقدماً على الشورى ، عارفاً بعقد الشروط وعللها مقدماً فيها ذاكراً لأخبار شيوخ بلده وفتاويهم ، له تآليف عديدة منها كتاب الأحكام وله كتاب فى الوثائق مشاركاً فى أشياء من العلم حسنه مع خير وفضل وعفاف ودين وكثرة صدقة وطول صلاة . قوالاً للحق وإن أوذى فيه ولى الصلاة بالمسجد الجامع فى قرطبة وأسمع الناس وأفتاهم فيه ، عمر وأسن حتى سمع منه الكبار والصغار والآباء والأبناء وكانت الرحلة فى وقته إليه . أنظر ابن بشكوال : الصلة ، جـ ٢ ، ص ٥٣٤ ، ٥٣٥ ؛ جونثالث بالنثيا : تاريخ الفكر الأندلسى ، ت. حسين مؤنس ، ص ٤٢٧،٤٢٨ . ويذكر أن المعتمد كان يبجله حتى أنه كان إذا لقيه نزل عن دابته ووعظه ابن الطلاع ووبخه . أنظر ابن سعيد : المغرب ، جـ ١ ، ص ١٦٥ . ويلاحظ أن ابن عباد قد استعان بهؤلاء الفقهاء القرطبيين أثناء فترة حكمه لقرطبة .